البحث الموسوم (خطر تمازج الفصحى بالعامية في اللغة العربية)

إعداد/ حامد أدينوي جمعة

E-mail: amiduj@yahoo.com

Amidu-jimoh@hotmail.com

قسم الدرسات اللغوية بجامعة العلوم الإسلامية العالمية, عمان, الأردن.

قدمه

للمؤتمر الدولي الثاني للغة العربية

الذي سيعقد بدبي من 7 إلى 10 في شهر مايو 2013م

الموافق 27-30 من شهر جمادى الآخر 1434هـ

بعنوان (اللغة العربية في خطر, والجميع شركاء في حمايتها)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين, والصلاة والسلام على أشرف المرسلين, وعلى آله وأصحابه أجمعين, ومن تبعهم بالإحسان إلى يوم الدين, أما بعد,

فإنّ اللغة العربية التي اصطفاها الله تعالى, لتكون لغة القرآن الكريم, وبذلك تكون أشرف لغات العالم, لكونها تتسم بصفة الثبات والديمومة, وتعدّ ظاهرة تمازج الفصحى بالعامية من أنواع الخطر الموجودة في اللغات البشرية, وخاصة اللغات ذات الرصيد الحضاري والمعرفي والأدبي كاللغة العربية التي لها الامتداد الزمني والاحتكاك الطويل بأكثر من الثقافات واللغات والحضارات, إذ لا توجد لغة بشرية محصورة على مستوى واحد من الاستعمال, إلا إذا كانت معزولة عن الحضارة ومنفصلة عن العالم ومقيّدة في المكان المحددة كاللاتينية المحصورة في داخل الكنائس الكاثوليكية.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في أنّه يتناول ظاهرة من الظواهر اللغوية الاجتماعية المنتشرة في جميع أنحاء العالم العربي, إذ يجعل سواد النّاس الأضرار الكامنة في تمازج الفصحى بالعامية, مع أنّ الأساس في اللغة الوضوح والبيان بوضع الشروط والقيود والإضافات والتغييرات التي تسير عليها اللغة الفصحى, وهذه الأمور لم تشترط في اللغة العامية, ولذلك لم تكن بعيدة عى سوء الفهم والالتباس في المضمون واختلاط الحابل بالنابل.

اعتمد البحث على المنهج الوصفي في وصف دور المجتمع في تمازج الفصحى بالعامية وأوضاع اللغة العربية قبل الإسلام وبعده ونقاط الالتباس في اللسان العربي, وكذلك المنهج التحليلي في تحليل الجوانب السلبية في تمازج الفصحى بالعامية, والأضرار التي ألحق باللغة العربية نتيجة الاختلاط بين الفصحى والعامية.

مشكلة البحث

سيجيب هذا البحث عن التساؤلات الآتية:-

- ما دور المجتمع في تمازج الفصحى بالعامية؟
- ما أحوال اللغة العربية عبر العصور المختلفة؟
- كيف يزال الالتباس في فهم اللسان العربي؟

هيكيلية البحث

انقسم البحث إلى المبحثين الأساسين

المبحث الأول: تناول فيه الباحث دور المجتمع في خلط الفصحى بالعامية, وأحوال اللغة العربية في قبل الإسلام وبعد الإسلام, وذكر الخصائص والمميزات التي تخصّ كلّ مرحلة من مراحل اللغة العربية.

المبحث الثاني: يشمل الحديث عن الأضرار اللغوية والاجتماعية التي نتجت عن تمازج الفصحى بالعامية كالانشقاق بين الشعوب العربية وتحطيم قواعد اللغة, وانتشار اللحن والالتباس في فهم اللسان العربي وغيرها

المبحث الأول :- دور المجتمع في تمازج الفصحى بالعامية

الحديث عن دور المجتمع في تمازج الفصحى بالعامية الذي نتج عن عملية الاتصال مع أفراد المجتمع؛ لأنّ اللغة ظاهرة اجتماعية تتفاعل مع المجتمع تؤثر فيه ويؤثر فيها, ولا يمكن أن نفكر في لغة بدون مجتمع, كما لا يمكن أن نفكر في مجتمع بدون لغة, ولذا يكون شأن اللغة كشأن الظواهر الاجتماعية الآخرى تتمزج وتتغير وتتحول من حيث أنماط السلوك من فترة إلى آخرى, إذ لا بدّ لأي مجتمع إنساني لغة يتكلم بها أو الرموز والاشارات يستعملها لمسايرة الأمورالمعيشة, وتكون ظاهرة تمازج الفصحى بالعامية من الظواهر اللغوية التي يجب النظر فيها عند المختصين بالعربية, لما في تمازج اللغة من استخدام كثيرلدى أفراد المجتمع للتواصل فيما بينها؛ لأن التمازج اللغوي أو الازدواج اللغوي ظاهرة اجتماعية موجودة في الإنسان كتمازج العربية الفصحى بالعامية في المجتمع العربي أو تمازج العربية الفصحى باللغات الأفريقية في المجتمع الأفريقي أو ازدواج العربية الفصحى باللغات الآسيوية في المجتمع الآسيوي, ومثل ذلك ما أشار إليه صاحب الكتاب اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة, بأن الكلام ليس طبيعياً يولد به الإنسان كالمشى, وهو أننا لو انتزعنا طفلاً من بيئته, ووضعناه في مجتمع آخر, له لغته أخرى لنشأ هذا الإنسان يتخاطب بما أخذه من الكلام عن هذا المجتمع الجديد, وفي كلّ ذلك تبقى مشية الإنسان واحدة لا تختلف باختلاف المجتمعات (د. حسن ظاظا, 1990م, ص32), ومن ذلك قول صاحب كتاب الازدواج اللغوي في العربية بأن المجتمع إذا كان يستعمل الدارجة في حياته وشؤونه, فليس للنشئ أن يخرج عن هذا المسار, الطفل في العالم العربي يرضع العامية كما يرضع غذاءه من أمه, يسمعها من أمه وأبيه وأخواته وإخوته وأقربائه, والطفل في العالم العربي ينمو وينضج محاطاً بالدارجة من كلّ جانب وفي كلّ مكان, فالدارجة لا تزايله حتى في الفصل الدراسي يسمعها إما من زميله وإما من مدرسه (عبد الرحمن بن محمد القعود, 1417هـ, ص 33).

وتعتبر اللغة الفصحى لغة رسمية في جميع البلدان العربية عند إلقاء الدروس الدينية وأداء العملية التعليمية وإجراء المعاملات الحكومية, لما في ذلك من القواعد التي تحميها والأسس التي تراعيها, ومن ذلك ما جاء في مقدمة أعمال الندوة الدولية عن الفصحى وعاميتها بأنّ العربية الفصحى والدارجة هما غير مقطوعين من الأصل, فالفصحى لغة العبادات ولغة التعامل اليومي والإداري, وهي اللغة الأصل, وقد يصدق هذا القول عند المسلمين الذين لايستخدمون العربية الفصحى إلا في صلواتهم, وأما الدارجة في الوطن العربي في لغة التعامل اليومي, وليست بعيدة عن الفصحى بحيث نجد فيها 80% من المفردات فصيحاً, وهو ما نلاحظه في التراث الشعبي من أغان (المجلس الأعلى للغة العربية, 2008م, ص 6)

ولا شكّ في إن ازدواجيات اللغة بين الفصحى والعامية أو بين العربية واللغات الأخرى لها خطورة كما يرى بعض الباحثين عند ما قالوا بأن الازدواجية اللغوية شئ بديهي في اللغة العربية, وقد نشأت هذه الازدواجية في الجريرة العربية قبل الإسلام بين اللغة الأدبية المشتركة ولهجات القبائل, إذ كانت الأولى لغة الأدب والعهود والمواثيق, وكانت الثانية لغة التفاهم في الحياة اليومية (سمر روحي الفيصل, 2009, ص 13), وكذلك جاء في البحث المنشور الموسوم خطر استعمال اللهجات العامية على اللغة العربية الفصحى بأنّ تطور وسائل الإعلام والثقافة المكتوبة والمسموعة والمرئية قد أثر تأثيراً عظيماً على وعي النّاس وثقافتهم في جميع مناحي الحياة, وهذا التأثير الكبير لوسائل الإعلام والثقافة قد يكون إرشاداً للعقول وتصحيحاً للفهوم في بعض أوقات أخرى, واللغة العربية التي هي الحاضنة والقاعدة المنظومة التي تكون هوية الأمة في العروب والإسلام تتعرض للتأثيرات الإعلامية والثقافية سلباً وإيجاباً حسب مقاصد السياسات الإعلامية والثقافية السليمة منها والمشبوهة, وبما أن وسائل الإعلام والثقافة تستخدم اللغة العربية كأداة رئيسية في معظم أعمالها, فإنّ هذه اللغة التي تستخدم تتأرجح بين صفاء اللغة الفصحى البسيطة وبين لوثة اللهجات العامية المتداولة حسب ثقافة المستخدمين وأدواتهم, وكأن العربية الفصحى ليست لغة العزة والحياة والثقافة والعلم والحضارة فتسمع رطانة اللهجات العامية في أفواه المتشدقين بها ليلاً ونهاراً في كلّ مكان يستوي في المتعلم والأمي بينما الفصحى العربية لاتسمح إلا قليلا وفي مجالات محدودة (www.re7an.net/vb/showthread)

وفي هذا المبحث سيتناول الباحث اللغة العربية قبل الإسلام واللغة العربية بعد الإسلام على الشكل التالي:-

المطلب الأول : اللغة العربية قبل الإسلام

كانت اللغة العربية موجودة عبر القرون العديدة قبل ظهور الإسلام, لدليل وجود الأشعار الجاهلية التي كتبت بالعربية, كما أشار إلى ذلك صاحب المقتضب في لهجات العرب بأنّ أقدم ما وصل إلينا من آثار اللغة العربية قبل الإسلام, هو ما يعرف بالأدب الجاهلي, وهو آثار أدبية تنسب لطائفة من شعراء العصر الجاهلي وحكمائه وخطبائه, ولكنها لم تجمع وتدون إلا في القرون الأولى للعصر الإسلامي, ويرجع تاريخ أقدمها إلى القرن الخامس بعد الميلاد على أبعد تقدير, وهي تمثل هذه اللغة في عنفوان اكتمالها وعظمتها بعد أن اجتازت مراحل كثيرة من التطور والارتقاء, وبعد أن تغلبت لهجة من لهجاتها وهي لهجة قريش على أخواتها بعد صراع طويل معها, وصار يؤمها العرب في شعرهم وخطابتهم ونثرهم الأدبي (د. محمد رياض كريم, 1996م, ص 90) ومن ذلك قول صاحب كتاب دراسات في العربية وتاريخها بأن اللغة كانت في عهد الجاهلية تُعَبِّر عن حاجات القوم وما تجود به قرائحهم أو ما يجري في مخيلاتهم من صور المعاني, فما كانوا ليحسوا نقصاً في لغتهم....ومن نظر في أشعارهم وخطبهم ومحاوراتهم وجد من جودة تصرفهم في المعاني وحسن سبكهم للألفاظ ما يدلّه على أنّهم كانوا يرسلون الفكر والخيال ويصوغون ما شاءوا من المعاني, فيجدون في ألفاظ لغتهم وأساليبها ثروة تسعدهم على أن يقولوا فيبدعوا (د. محمد الخضر حسين, 1960م, ص 15)

وكانت اللغة العربية قبل الإسلام لغة سليقة سماعية لم يكن لها قواعد مكتوبة, بل كان لها ضوابط فرضها العرف وصقلها الاستعمال, يأخذها الآحق عن السابق كما هي, دون اللحن في القواعد اللغوية من النحو والصرف والبلاغة وغيرها, وكما جاء في كتاب القواعد الأساسية للغة العربية بأن العرب تنطق بالسليقة وتصوغ ألفاظها بموجب القانون تراعيه من أنفسها ويتناوله الآخر عن الأول, والصغير عن الكبير من غير أن تحتاج في ذلك إلى وضع قواعد صناعية (السيِّد أحمد الهاشمي ص4), من ذلك ما جاء في الرسالة العلمية الموسومة بإسهامات العربية في اللغة الإنجليزية بأنّ اللغة العربية هي لغة العرب, هؤلاء القوم الذين كانوا يعيشون في العصر الجاهلي وما قبله في شبه جزيرتهم المعروفة, وقلّما تجاوزوا شبه الجزيرة هذه إلا في إيلافاتهم التي ذكرت في رحلة الشتاء والصيف إلى أطراف شبه الجزيرة في الجنوب والشمال (يسعد رابح, 2004م, ص 16), وكذلك ما جاء في كتاب أبحاث في العربية الفصحى بأنّ العرب قبل الإسلام كانت لهم لغة أدبية موحدة, يقولون بها الشعر, ويُلْقُون بها الخطب, ولكلّ قبيلة أو حيّ أو مدينة لهجتها الخاصة التي تُسْتَعْمَل في شؤون الحياة اليومية (د. غانم قدوري الحمد, 2004م, ص 90), ومن ذلك ما جاء في كتاب المقتضب في لهجات العرب, بأن اللغة العربية قبل الإسلام تعيش في شبه الجزيرة العربية تجري على ألسنة العرب سليقة يتفاهمون بها دون حاجة إلى تعلمها, على رغم من وجود بعض الفروق اللهجية التي أوجدتها طبيعة المناطق التي عاشت فيها القبائل العربية, إذ لم تكن تلك الفروق من القوة بحيث تعوق تفاهم تلك القبائل أو تمنعه, وإنّما كانت فروقاً يسيرة محدودة, وحين جاء الإسلام الحنيف بتعاليمه الغراء للناس كافة ليخرجهم من الظلمات إلى النور, غمر هذا النور شبه الجزيرة العربية, وبدأ يخرج إلى الأمم والبلاد المجاورة حتى اتسعت رقعة الدولة الإسلامية (محمد رياض كريم, 1996م, ص 77)

وقد اعتراف الجميع على تقدم اللغة العربية قبل مجئ الإسلام وخاصة المستشرقين, كالمستشرق الألماني فيشر الذي قال بأنّ اللغة العربية برزت في القرن الثامن الميلادي إلى جوار اليونانية واللاتينية باعتبار أنّها لغة الثقافة الثالثة الكبرى للمشرق والمغرب المستوعبة لحضارة العصور الوسطى التي أعقبت العصور اليونانية (قولفديتريش فيشر, 2005م, ص 11), وكذلك ما جاء في مقدمة المترجم لكتاب دراسات في لهجات شرق الجزيرة العربية للمستشرق البريطاني جُونستون (Eastern Arabian Dialect Studies) , بأن اللغة العربية في عصر الجاهلية القريبة من الإسلام, كانت على مستويين: مستوى شعبي يتمثل في لهجات الخطاب السائدة بين أبناء الجزيرة في بيئاتهم المختلفة, ومستوى رفيع يتمثل في لغة أدبية فصحى اتخذها الصفوة من أدباء الجزيرة وبلغائها, وصدرواعنها في أعمالها الفنيّة من شعر ونثر فصيغت فيها قصائدهم وحيكت خطبهم وحكمهم (ت. م. جونستون, ترجمة د. أحمد محمد الضبيب, 1983م, ص 5)

ومن ذلك قول صاحب كتاب ظواهر لغوية من المسيرة التاريخية للغة العربية قبل الإسلام بأنّه لا ينكر أحد أنّ للعرب حضارة قبل الإسلام, وليس من المنطق أو المعقول أن ينزل القرآن الكريم بجلالة قدره, وعظيم أسلوبه, وروعة بيانه

على قوم رحّل لا يدركون ما فيه من سمّو المعاني, وما اشتمل عليه من أساليب مُعْجزة, ومن تراكيب مفحمة, ومن آداب وحكم وعلم ومنطق وفكر وتشريع (د. عبد العال سالم مكرم, 1988م, ص 20)

لاشكّ أنّ اللغة العربية قبل الإسلام كانت اللغة السليقة لعدم اختلاط الشعوب العربية مع غيرها من الشعوب الأخرى كالشعب الرومي والشعب الفارسي, ومن ذلك ما قاله صاحب كتاب الاحتجاج بالشعر في اللغة, بأنّ اللغة العربية التي أشرفنا الله بها كان العرب يتكلمونها صحيحة فصيحة بالسليقة منذ العصر الجاهلي على ما تقضى به صورتها التي وصلتنا عن ذلك العصر, وقد استمرّت على تلك الصورة في مجملها قروناً عديدة, فلما آن أن توضع معايير الصواب اللغوي في جميع مستويات الدراسة اللغوية ليستعين بها الموالي وعرب الحضر, استنبطت تلك المعايير من النتاج اللغوي لعرب تلك القرون (د. محمد حسن حبل, ص 12)

المطلب الثاني : اللغة العربية بعد الإسلام

لا شكّ في أنّ اللغة العربية لغة عريقة قبل الإسلام, واستخدمت على نطاق واسع في الإسلام وخاضة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في المكاتبات والرسائل المرتبطة بنشوء الدولة الإسلامية بعد نزول القرآن الكريم بها, وأدت إلى توحيد اللهجات العربية المختلفة في لغة قريش, كما أدت إلى إضافة ألفاظ كثيرة جديدة في قاموس العربية مثل الإيمان والصلاة والزكاة والصوم والحج, كما أدت إلى نشأة علوم لغوية مختلفة كالنحو والصرف والبلاغة والأصوات وفقه اللغة وغيرها.

ومن ذلك قول صاحب كتاب دراسات في العربية وتاريخها, بأنّ الإسلام طلع على العرب, وفي هدايته من المعاني, ما لم يكونوا يعلمون بل في هدايته ما لم تف اللغة يومئذ بالدلالة عليه, فعبر عن هذه المعاني بألفاظ ازدادت بها اللغة نماء, ومن الجلي أنّ القرآن الكريم والحديث النبوي قد سلكا في البلاغة مذاهب ينقطع دونها كلّ بليغ, ثمّ أن فتح الممالك الكبيرة كبلاد الفرس والروم زاد مجال اللغة بسطة بما نُقل إليها من المعاني العلمية أو المدنية, ففضل الإسلام على اللغة العربية يظهر في غزارة مادتها وبراعة أساليبها واتساع مذاهب بيانها, وكثرة الأغراض التي يتسابق إليها فرسان الخطابة والكتابة (محمد الخضر حسين, 1960م, ص17)

أصبحت اللغة العربية لغة عالية ذات قيمة دينية وعلمية واجتماعية بين لغات العالم, لأنّ القرآن الكريم نزل بها,

المبحث الثاني : أضرار تمازج الفصحى بالعامية

لا شكّ من وجود أضرار تمازج الفصحى بالعامية لدى أفراد المجتمع من المتكلمين والمستمعين, ومن الأضرار التي يمكن تسجيلها لتمازج الفصحى بالعامية ما يلي:-

- ضرب التواصل اللغوي والوحدوي بين العرب

يؤدي تمازج الفصحى بالعامية إلى خلق التفرقة بين أبناء الشعب الواحد, حيث لا يفهم المصري الليبي نتيجة التمازج اللغوي بين الفصحى والعامية, ولا يعرف الأردني ما يقوله السوري نتيجة اختلاط الفصحى بالعامية, ومن ذلك ما جاء في كتاب المقتضب في لهجات العرب بأنّ انتشار اللغة في مناطق واسعة من الأرض والكلام بها بين طوائف مختلفة من الناس استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمداً طويلاً بل لا تلبث أن تتشعب إلى لهجات, وتسلك كلّ لهجة من هذه اللهجات في سبيل تطورها منهجاً يختلف عن منهج غيرها, ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بينها حتى تصير كلّ لهجة منها لهجة متميزة غير مفهومة إلا لأهلها, وبذلك يتولد عن اللغة الأولى فصيلة أو شعبة من الوجوه ولكنها تظلّ مع ذلك متفقة في وجوه أخرى (د. محمد رياض كريم, 1996م, ص 62).

- تغيير نطق الكلمات العربية

وهذه الظاهرة موجودة في لهجات العرب القديمة كالعنعنة عند قيس وتميم إذ قالوا في أنك, عنك, وفي أذن, عذن, وهذه الصفة هي قلب الهمزة المبدؤ بها عيناً, في حين كانت بقية العرب ينطقون الهمزة دون تغيير في أوائل الكلمات, وكذلك الكشكشة عند ربيعة ومضر, إذ قالوا: رأيتكش وبكش وعليكش, وهذه الصفة هي وضع بعد كاف الخطاب شيناً في المؤنث, وكذلك العجعجة عند قضاعة إذ قالوا في تميميّ, تميمج, وهذه الصورة هي

جعل الياء المشددة جيماً, وكذلك التلتلة, إذ قالوا في يَعْلَمُ, "يِعْلَمُ", وفي يَشْرَبُ, "يِشْرَبُ", وهذه الصفة هي كسر حرف المضارعة مطلقاً في جميع الأحوال, والشنشنة لدى أهل اليمن, إذ قالوا في لبيك "لبيش", وهذه الصفة هي إبدال الكاف شيناً مطلقاً, والكسكسة التي قالوا: أبوس في "أبوك", وأمس في "أمّك" وهذه الصفة هي إبدال الكاف سيناً مطلقاً, والفحفحة عند هذيل إذ قالوا: عتى في "حتى" بجعل الحاء عيناً, والطمطمانية عند حِمْيَر, إذ قالوا: طابَ امْهواء في "طابَ الهواء" بإبدال لام التعريف ميماً.

ومن ذلك ما جاء في كتاب اللهجات العربية في التراث بأنّ انتقال مخرج الضاد إلى الظاء لقربهما في المخرج واتفاقهما في الجهر والانطباق والاستعلاء والإصمات والرخاوة شئ يسير, إذ وردت عدّة أدلة تثبت أنّ تميماً تنطق بالضاد في كلمة "فاض" بينما غيرها من القبائل, ومنها الحجاز تنطق ذلك بالظاء فتقول "فاظ" (د. أحمد علم الدين الجندي, 1983م, ص 425).

وكذلك ما جاء في كتاب الصاحبي في فقه اللغة, في باب اللغات المذمومة بأنّ العنعنة التي تُذكر عن تميم فقلبهم الهمزة في بعض كلامهم عيناً, فيقولون: "سمعت عنّ فلان قال كذا" يريدون "أنّ" وأما الكشكشة التي في أسد, فقال قوم: إنّهم يبدلون الكاف شيناً, فيقولون: "عَلَيْشْ" بمعنى "عليك" وكذلك الكسكسة التي في ربيعة, إنّما هي أن يصلوا بالكاف سيناً فيقولون "عَلَّيْسْ" (الإمام أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا, 1997م, ص 29).

- تحطيم قواعد العربية

لتحطيم قواعد العربية جوانب متعددة منها التذكير في موضع التأنيث, أو التأنيث في موضع التذكير, مطابقة العدد مع معدوده في مجال المخالفة, أو مخالفة العدد مع معدوده في مجال المطابقة وإلحاق الفعل بفاعلين وغيرها والأمثلة عن ذلك ما يلي:-

- (زيد السابعة في قائمة الناجحين) بدل (زيد السابع في قائمة الناجحين)
- (فاطمة الخامس في قائمة المميّزات) بدل (فاطمة الخامسة في قائمة المميّزات)
- (عندي كتاب واحدة ومجلة واحد) بدل (عندي كتاب واحد ومجلة واحدة)
- (عندي كتابان اثنتان ومجلتان اثنان) بدل (عندي كتابان اثنان ومجلتان اثنتان)
- (عندي ثلاث كتب وتسعة مجلات) بدل (عندي ثلاثة كتب وتسع مجلات)
- (أكلوني البراغيث) بدل (أكلني البراغيث) لأنّ الواو في "أكلوني" فاعل, وكذلك "البراغيث" فاعل.
- (جاؤوا الطلاب) بدل (جاء الطلاب) لأنّ الواو في "جاؤوا" فاعل, وكذلك "الطلاب" فاعل.

وفي هذا المبحث سنتحدث عن انتشار اللحن العام والخاص, والالتباس في فهم الكلام.

المطلب الأول : انتشار اللحن العام والخاص

حدد بعض العلماء أسباب انتشار اللحن في العربية, ومنهم صاحب كتاب اللحن اللغوي وأثاره في الفقه واللغة عند ما قال بأنّه يكمن أن نراجع ظهور اللحن إلى عوامل تؤدي عادة إلى تطور اللغة عند كلّ الشعوب منها:- (محمد عبد الله ابن التمين, 2008م, ص 40)

وقد واجه علماء العربية عنايتهم نحو تحديد الصواب والخطأ في استخدام العبارات من المسائل التي استرعت انتباههم في اللغة العربية, وبذلوا الغالي والنفيس لحفظ سلامة اللغة الفصحى, وتنقيتها مما تعارض لها من شوائب الخطأ, نتيجة الفتوحات الإسلامية واختلاط العرب بغيرهم من الأمم والشعوب التي دخلت في الإسلام, ومن الأخطاء اللغوية التي ذكرها الباحثون هي كما يلي:-

- (اقتبس الكاتب عن فلان بعض أرائه) بدل (اقتبس الكاتب من فلان بعض أرائه)

والسبب ذلك هو أن فعل "اقتبس" يتعدى ب "من" لا ب "عن" وكذلك أنّ "من" يفيد التبعيض, لأنّ المقتبس أخذ بعض الآراء, بينما "عن" لا يفيد التبعيض.

- (رزق الله فلاناً بمولودٍ) بدل (رزق الله فلاناً مولوداً), لأنّ فعل "رزق" يتعدى إلى مفعولين بدون الحاجة إلى حرف جرّ.

- (يتسابق فلان مع فلان) بدل (يتسابق فلان وفلان) لأنّ فعل "يتسابق" من الأفعال المشاركة, وصيغ المشاركة تقتضي تعديد الفاعل, كما في " يتجاذب فلان وفلان أطراف الحديث"

- الاختلاف في نطق الحروف من جيل إلى جيل ومن شعب إلى شعب كصعوبة نطق الحاء والعين عند غير العربي مثلاً.

- اتخاذ المربيات من العجم, وعدم مراقبة أولياء الأمور لبنيهم في أطوار التنشئة الأولى,
- إهمال أولياء الأمور تصحيح أخطاء الأطفال اللغوية مبكراً, مما يؤدي إلى نشوئهم على الخطأ فيصعب نقلهم عنه.

- عدم وضوح الإعراب

وضوح الإعراب ظاهرة مطلوبة في العربية الفصحى, كرفع الفاعل ونصب المفعول به في ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْراً, أما في اللهجة العامية يصعب تحديد الفاعل من المفعول به وخاصة في ضمير رفع المتكلم وضميرنصب المخاطب كمن يقول: أَكَلْتُ للمخاطب, بدل أَكَلْتَ, أو يقول: أَكَلْتَ للمتكلم بدل أَكَلْتُ, ومن ذلك ما قاله صاحب كتاب تحريف العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات بأن العامية المصرية تهمل الإعراب, وهو تغيير الحركات في أواخر الأسماء والأفعال المعربة وهو من أهم خصائص الفصحى, إذ يقف المتكلمون بالعامية على أواخر الكلمات بالسكون, ولم تعرف بذلك قبيلة من قبائل العرب قديماً, إنّما ندّ ذلك على ألسنة بعض الشعراء أحياناً لضرورة الشعر (شوقي ضيف, 1994م, ص 11)

ومثل ذلك ما جاء في كتاب الجملة والمعنى في العربية بأنّ الإعراب الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم لتعاقب العوامل في أولها, ألا ترى أنّك لو قلت (ضرب زيد عمرو) بالسكون من غير إعراب لم يعلم الفاعل من المفعول؟!, ولو اقتصر في البيان على حفظ المرتبة فيعلم الفاعل بتقدمه والمفعول بتأخره لضاق المذهب ولم يوجد من الاتساع بالتقديم والتأخير ما يوجد بوجود الإعراب, ألا ترى أنّك تقول : ضرب زيدٌ عمراً, وأكرمَ أخاكَ أبوكَ, فيعلم الفاعل برفعه والمفعول بنصبه سواء تقدم أو تأخر (د. فاضل صالح السامراء, 2000م, ص 31)

المطلب الثاني : الالتباس في فهم اللسان العربي

إنّ ما حدث للغة العربية من تمازج الفصحى بالعامية, جعل طلاب اللغة يتوغلون في الصحاري والفيافي للبحث عن لغة فصحى صافية المشرب وسليمة المأخذ وخالية من الشوائب, بدأت بوادر الالتباس في فهم اللسان العربي بظهور التمازج اللغوي بين الفصحى والعامية, وازدادت بعد الدعوة إلى إهمال اللغة العربية الفصحى, واستخدام وسائل الإعلام والثقافة اللغات العامية, فظهر الالتباس والاضطراب قبل أن يفهم السوري ما يقوله الأردني خارج العربية الفصحى, أو أن يفهم الأمارتي ما يقوله السعودي باللغة الدارجة العامية, ووجد كثير من ذوي الأغراض الحبيثة للإسلام وللعروبة مجالاً رحباً لتأييد آراءهم ومذاهبهم.

الالتباس في فهم اللسان العربي يؤدي إلى عدم فهم النصوص القرآنية والأحاديث النبوية كما قال صاحب المقدمة بأنّ اللغة والنحو والبيان والأدب ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة, إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلّها من الكتاب والسنة, وهي بلغة العرب, ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب وشرح مشكلاتها من لغاتهم, فلا بدّ من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة (عبد الرحمن بن خلدون, 2001م, ج1, ص 753)

ومن ذلك قول صاحب كتاب الرسالة "فعلى كلّ مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه الجهد حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله, ويتلو به كتاب الله, وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير, وأُمِرَ به من التسبيح التشهد وغير ذلك (الإمام الشافعي, 1979م, ص 48)

ومن ذلك قول صاحب كتاب العربية بين الوهم وسوء الفهم, بأنّ الاتجاه الأساسي للحداثين, ومن لفّ لفهم هو إطراح العربية بمفهومها العام التقليدي وتبنِّي العاميات بديلاً صالحاً للتواصيل والتواصل في كلّ المجالات العامة والخاصة على سواء, ولكن نفر منهم خرج علينا ببدعة أخرى تعدل صاحبتها "إطراح العربية وتبنِّي العامية" مضموناً وغرضاً, لم ير هؤلاء النداء صراحة إلى وجوب اعتماد العامية بمعناها المطلق لغة التعامل والتفاهم, وإنّما عمدوا إلى العربية بمفهوم لم يحددوه أو يرسموا لها حدوداً, ونادوا بفكرة جديدة تتمثل في نبذ فكرة العمومية للغتنا, وتفتيت بنيتها الكلية المتكاملة وتوزيعها أوصالاً وأشتاتاً من وجهين مجتمعين أو منفردين, أحدهما توزيع جغرافي والثاني توزيع أو تصنيف زمني (د. كمال بشر, 1999م, ص 49)

وتمازج الفصحى بالعامية يقلل نسبة الفهم لدى الدارسين والباحثين في الجامعات العربية, في الوقت الذي تسعى مؤسسات التعليم العالي إلى وضع امتحانات مستوى اللغة العربية الفصحى, على غرار الجامعات والأروبية التي قررت عدم قبول الطلبة والطالبات في برامجها إلا بعد اجتياز امتحانات لغوية, تعدّها مؤسسات

جامعية معنية, بينما قررت جامعات أخرى تقديم دروس لغوية إضافية للطلبة المقبولين من أجل تحسين مستوى لغتهم الذي يؤهلهم للدراسة الجامعة.

وأطلق صاحب البحث الموسوم خطر العامية والأمية والمعجمية على الفصيحة في الجامعات العربية, الأمية التقليدية لمن التبس عليه فهم اللسان العربي الفصيح نتيجة تمازج الفصحى بالعامية, لعدم قدرته على القراءة الصحيحة والكتابة السليمة, مع أنّه متعلم ذو المستوى العالي من التعليم والثقافة كالطالب والأستاذ الجامعيين غير قادر على القراءة ولا على الكتابة ولا على الحديث بطريقة سليمة باللغة العربية الفصيحة التي بدأ احتكاكه بها منذ المرحلة الأولى الابتدائية في الى المستوى العالي الجامعي (د. سليمان يوسف بن خاطرأسو ص 23)

ومن ذلك قول صاحب البحث الموسوم السلم اللغوي في الوطن العربي بأنّ الخلط بين المستويين أي مستوي الفصيح ومستوى العامية, يشوش على الفهم الحقيقي للواقع اللغوي, وطبيعة اللغة ووظيفتها, ويشغل النّاس عن البحث في سبل تطوير اللغة وتوظيفها في التنمية, وفي كل الأحوال لا ينبغي أن يترك لمن لا يفقه أصول المسألة اللغوية, أو لمن تسكنه لغة أخرى غير العربية, أو لمن لا يعتقد في إمكانية العربية, ولا يؤمن بقدراتها أن يُنَظِّر للوضع اللغوي في الوطن العربي, بل أن يتجرأ على الحديث فيه (د. عبد الرحمن أحمد يجيوي, ص119), وتتعدد أساليب الالتباس في فهم اللسان العربي منها ما تعود إلى الالتباس الصوتي الذي لا يتجلّى إلا بالنظر في طائفة من الكلم لتعيين الصرفية المتآلفة ومثاله ما ورد في كتاب ظاهرة اللبس في العربية:-

1- إلى هَنا رجعنا = إلهَنا رجعنا

2- إلى هُنا كاف = إلهُنا كاف

3- جال سنا القمر = جالسنا القمر

وقد تعود إلى الالتباس الصرفي, كما يوجد في الأفعال التي تخلق بركب الأضداد مثل: ضاع الرجل, إذا غاب وفُقد, وضاع الرجل إذا ظهر وتبيّن, فالفعل في الجملة الأولى يرتدّ إلى الأصل الاشتقاقي: ضَيَعَ: ضاع يضيع, بينما في الجملة الثانية هو يرتدّ إلى الأصل الاشتقاقي: ضَوَعَ: ضاع يضوع, وقد تعود إلى الالتباس التركيبي, كأن يكون مرجع الضمير موضع الالتباس, كما في القول المنسوب إلى عليّ – رضي الله عنه – أيّها النّاس تزعمون أني قتلت عثمان؟ ألاّ وإن الله قتله وأنا معه, وقد أراد عليّ أنّ الله قتله, وسيقتلني معه, وجعل الهاء في "معه" عائدة على عثمان رضي الله عنه.

الخاتمة

ومن التنائج التي توصل إليها البحث المتواضع الموسوم خطر تمازج الفصحى بالعامية هي:-

1- أظهر البحث خطر تمازج الفصحى بالعامية الذي امتدّ عبر العصور المختلفة, ويحتاج إلى جهود جماعية وفردية ورسمية وشعبية للقضاء عليه.

2- أثبت البحث وجود الإشكال في تمازج الفصحى بالعامية في شؤون الحياة العامة والخاصة, لما في ذلك من ضرار بالأفراد وبالمجتمع وباللغة, لأجل عدم القدرة لغير المتخصص في تمييز الفصحى عن العامية, وخاصة في مجتمعات الشعوب الإسلامية.

3- دعا البحث إلى الاهتمام والعناية والتركيز على العربية الفصحى, لكلّ أفراد المجتمع لما في ذلك من توحيد الأمة الإسلامية على لغة القرآن الكريم, ونبذ الخلافات اللغوية القبلية.

المصادر والمراجع

أهم المصادر والمراجع التي اعتمد الباحث في كتابة البحث:-

1- أبحاث في العربية الفصحى, الدكتور غانم قدوري الحمد, ط1, دار عمار, الأردن, 1426هـ/2005م.
2- الجملة العربية والمعنى, الدكتور فاضل صالح السامرائي, ط1, دار الحزم, بيروت, 1421هـ/2001م.
3- أخطار العامية والأمية والمعجمية على الفصيحة في الجامعات العربية, الدكتور سليمان يوسف بن خاطر أسو.
4- إسهامات العربية في اللغة الإنجليزية, يسعد رابح, مذكرة معدة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية, جامعة الجزائر, 2004م.
5- الاحتجاج بالشعر في اللغة, الدكتور محمد حسن الحبل, دار الفكر العربي, القاهرة.
6- الازدواج اللغوي في اللغة العربية, عبد الرحمن بن محمد القعود, ط1, الرياض, 1410هـ/1990م.
7- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها, أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا, تحقيق: الدكتور عمر فاروق الطباع, ط1, مكتبة المعارف, بيروت, 1414هـ/1994.
8- العربية بين الوهم وسوء الفهم, الدكتور كمال بشر, دار غريب, القاهرة, 1991م.
9- الفصحى وعاميتها, أعمال الندوة الدولية التي نظمت بالتعاون مع وزراة الثقافة ضمن فعاليات الجزائر عاصمة للثقافة العربية, المجلس الأعلى للغة العربية, 2008م.
10- القواعد الأساسية للغة العربية, السيِّد أحمد الهاشمي, دار الكتب العلمية, بيروت.
11- اللحن اللغوي وآثاره في الفقه واللغة, محمد عبد الله ابن التمين.
12- اللسان والإنسان مدخل إلى علم اللغة, الدكتور حسن ظاظا, ط2, دار القلم, دمشق, 1410هـ/1990م.
13- اللهجات العربية في التراث, الدكتور أحمد علم الدين الجندي, الدار العربية للكتاب, 1983م.
14- المقتضب في لهجات العرب, الدكتور محمد الخضر حُسين, 1417هـ/1996م.
15- تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات, الدكتور شوقي ضيف, ط1, دار المعارف, القاهرة, 1429هـ/2008م.
16- دراسات في العربية وتاريخها, محمد الخضر حُسين, ط1, المكتب الإسلامي, دمشق, 1380هـ/1960م.
17- دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية, ت.م. جُونستون, ترجمة الدكتور أحمد محمد الضبيب, ط2, الدار العربية للموسوعات, 1983م.
18- ظواهر لغوية من المسيرة التاريخية للغة العربية قبل الإسلام, الدكتور عبد العال السالم مكرم, ط1, مؤسسة الرسالة, 1409هـ/1988م.
19- قضايا اللغة العربية في العصر الحديث, الدكتور سمر روحي الفيصل, 2009.
مقدمة ابن خالدون, عبد الرحمن بن خالدون, دار الفكر, بيروت, 1431هـ/2001م
- 20www.re.net/vb/showtread